عن الضوء والعتمة

ليث الصندوق

« أنا والحرب »:

أنا ما جئتُ إلى الحرب
ولكن...
هيَ جاءتني،
فألقتْ رأسَها فوق ذراعي
واحتمتْ من وابلِ الغيث بسقفي
ثمَّ فضّتْ كيسَها المملوءَ في جيبي
شظايا...
ورجوما...

★ ★ ★

أنا ما جئت، إلى الحربِ
ولم أطلبْ ثماراً من حقولِ السلِّ
لم انكأ سوى جرحي
ولم ابتدرِ الحقدَ بطعناتِ العناد
ما أنا والحرب في الدنيا سوى مستطرقين
فلماذا نسبق الموتَ إلى الموت
ونحني رأسنا للنارِ
للسيفِ الثقيل
كلنا ماضٍ
فَلِمْ ننظرُ للخلفِ؟
وما أحرى سرايانا بعهدِ الانطلاق
كلما كانت تراني
تستحثّ النزق...
تعلو...
ما علا في الغيبِ صرح من دخانٍ،
ورماد...

★ ★ ★

يفتحُ الموتُ ذراعيهِ لزحفي
ينتقي لي ربطةَ العنقِ
وبدلاتِ الزفاف
ثم يغريني بُلكِ
هو أنقاض حطام

★ ★ ★

هي من عالي الجبال
تنفش الشعرَ على الأفقِ
وتلقي نارها
ثم تمشي خلفَ صوتي
تقتفي أثرَ جراحٍ
لم تزلْ تتبعُ- روتينَ- النزيف

★ ★ ★

أنا ما جئت إلى الحرب
وهل يأتي إلى الحربِ طليق
أمَةُ النارِ هي الحربُ
صدى خشخشةِ القيدِ الثقيل
تبعتْ شمسي إلى مغربها
ثم ظلّتْ تتحرى
بينَ صدري عن أنين.

« الخوف »:

كلُ مساحيقِ التجميلِ
كلُ عطورِ الغابِ، والياف التفاح
تسقط من خديكِ
وحبابُ الثلجِ على ورقِ الموز يذوبُ
تمسحُهُ منشفةُ الحزن
وقشورُ الليمون تجفُّ
حين أخافُ
وتجعلُ فوقَ غصوني وردة

★ ★ ★

كل نشاطِ اللونِ الأحمر
يشحبُ إثرَ النزفِ
كل حفيف الأوراق يبحُّ
وظلال الأشجارِ تجفُّ
تغدو طيناً... ورماداً
والأطيار تغادر دون عناوينَ
ولا بعض سلام
تاركةً للنارِ دُمى الأطفالِ
وأعواد الذكرى

★ ★ ★

حين أخاف تفزّين من النومِ
وتلمّينَ نثار خيالاتك من أفقي
يحمى حول سريرك
يزّاحمُ ناراً، ورجوماً
وتمدّين يديك إلى الماضي
وتنادينَ الحاضرَ بالحسِّ...

وباللّمس...
وبالإلهام...
وتودّين لو انكِ تمتلكين يدا من نارٍ
وأعاصير من الفولاذ
وبإيمان الرغدِ تقاوين الأقوىٰ
وتردّين الصاعَ إلى الأعتىٰ صاعين
وتوفّينَ إليَّ ديونَ الحبِّ

★ ★ ★

حينَ أخاف...
وأنا أبعدُ عنكِ من الفرحة
تمضين الى الغاب
وتغنّينَ لعشبٍ دونَ أنيسٍ
وتلمّين قشور البذر-
وأحراجاً يابسةً بينَ يديك
ترعين نداوتها بسلامٍ
وتردّين إليها ضحكتها المفقودة.
حينَ أخاف تسيرينَ إلىٰ نهرٍ
يتداور كالعمرِ مويجاتٍ، ودويماتٍ
وتقصّين عليه مآسي الجوز المنخور اللبِّ
وآلام التفاحات المثلوجة
فيطوّي أحزانك بينَ يديه
يودِعُها في خزّان الأمواج-
ويقفله بالمفتاح
ويلقي المفتاح إلىٰ القاع

★ ★ ★

خوفي من نيران الحقدِ
هو خوفُ صداكِ من البردِ
وخوفُ يديكِ من الشيخوخة
وهو التنّين الساكنُ في رعشاتِ أصابعنا
اللّهبُ الساعر حولَ صحونِ الزيتِ بأعيننا
وهو الرمدُ الصيفيّ
وكسرٌ في عظمِ الرضفة

« مواكب علىٰ الأفق »:

تجمّعي في غرفتي أيتها النجوم
وباشري الرحيل من نافذتي
إلىٰ البيوت المظلمه
انتظمي في عقد
وانفرطي
علىٰ نحورٍ تحتها يختمر الظلام
ولا تبيحي السرَّ للقتيل، والقرصان
بل واصلي الرحلة من سرٍّ إلىٰ سرٍّ
ومن قناعةِ الوهد
إلىٰ انتفاضة الجبال.

« الرحلة »:

وجمعنا ما نملك من أحمالٍ...
من آمالٍ....
ومواريث.
وصعدنا جبلين
ونزلنا جبلين
وغمسنا جرحينا في ملحِ النسيان
وطفونا كالعشبِ علىٰ الأمواج
ورفعنا للبدرِ أيادينا
لم ينطرنا
ومضىٰ يرحل عبرَ الغيم

★ ★ ★

ومشينا نتحدّىٰ ريحَ الرملِ
وأمطارَ الطلقات.
يسلمنا الدرب إلى الرهبة
تسلمنا الرهبة للبوح
ونضيع كأشرعةٍ سوداء
تسافر في ليلٍ داجٍ

★ ★ ★

وجمعنا أحمال العمرِ
أموالاً...
وحرائقَ تحتَ الأجفان
ومشينا في طرقٍ
لم تطرقها من قبل النجمات
وعلى صخرتها تتعثّرُ غيمه
نغرقُ حيناً....
نطفو حيناً...
وعلىٰ الأفقِ تطيشُ شرارتُنا
تتفتّتُ صخرتُنا
تسبلُ جفنيها موجتنا
وتنام علىٰ طولِ البحرِ

★ ★ ★

رحلتنا الممتدة أكثر من سنتين
لما تبلغْ بعد نهايتها
لكنْ كل منا
ما زال يسائل صاحبه.
أين ترانا...
أين ترانا نمضي...؟؟

بغداد